

موقف جريدة البصائر من النظام العسكري في الجنوب الجزائري (1935-1939م)  
*The Reaction of Al-Basair newspaper on the military regime in  
 southern Algeria (1935-1939)*

1- عمر ميموني\*، مخبر الجزائر: تاريخ ومجتمع، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس (الجزائر)

mimouniomar1991@gmail.com

2- إبراهيم لونيبي، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس (الجزائر)

lounicib@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023 /01/31 تاريخ القبول: 2023 /04/02 تاريخ النشر: 2023 /06/04

**ملخص:**

برزت جريدة البصائر خلال الثلاثينيات كإحدى المنابر الإعلامية الهامة في الجزائر خلال القرن العشرين؛ إذ ساهمت في صناعة الوعي السياسي لدى المجتمع الجزائري والوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي، فبرزت كمظهر يدل على وعي المجتمع الجزائري بذاته وما حوله إزاء ما كانت تشهده الساحتان الداخلية والخارجية من أحداث وتفاعلات فكرية وسياسية؛ فكانت لها مواقف وتوجهات حول مختلف القضايا والأحداث خارجياً وداخلياً، ولعل وضع الجنوب الجزائري -آنذاك- الراجح تحت النظام العسكري وما ترتب عنه سياسياً واجتماعياً واقتصادياً على سكان الجنوب والجزائر ككل، لجدير هو الآخر بأن تبدي انطباعاتها حوله. ولذلك فإن هذه الدراسة ستجيب عن الإشكالية الآتية: كيف ساهمت جريدة البصائر في كشف النظام العسكري وممارساته التعسفية في الجنوب الجزائري؟ كلمات مفتاحية: جريدة البصائر؛ النظام العسكري؛ الإصلاح؛ الجنوب الجزائري.

## Abstract:

Al-Basair newspaper emerged during the thirties as one of the most important media platforms in Algeria during the twentieth century; As it contributed to creating political awareness among Algerian society and standing up to French colonialism, it emerged as a manifestation indicating Algerian society's awareness of itself and its surroundings, in face to what was happening in the internal and external arenas in terms of intellectual and political events and interactions. The newspaper had positions and orientations on various issues and events, both externally and internally. Perhaps the situation of the Algerian south - at that time - under the military regime and its political, social and economic consequences for the residents of the south and Algeria as a whole was worth to be commented on The present paper attempts to answer the following question: How did Al-Basair newspaper contribute to exposing the military regime and its arbitrary practices in southern Algeria?

**Keywords:** Al-Basair newspaper; military regime; repair; Algerian south.

## ● مقدمة

توغل الاستعمار الفرنسي نحو الجنوب الجزائري بعد سيطرته على المناطق الشمالية وتأكده من الأهمية الاستراتيجية والعسكرية لهذا الجزء من البلاد حيث وضع مخططات ومشاريع للسيطرة عليه واحتلاله، فكان هذا المشروع مكلفاً وشاقاً لعدة اعتبارات جغرافية وسياسية وبشرية، وبعد عملية احتلاله قام بإرساء الإدارة الاستعمارية فيه (النظام العسكري) بمنظومة قانونية وكتائب عسكرية مجندة لبطط السيطرة التامة في تلك مناطق، مما أدى إلى اضطهاد السكان وتعريضهم لكثير من المآسي والظلم.

لقد سعى الجزائريون إلى الوقوف في وجه المستعمر الفرنسي بكل الأساليب المتنوعة، فظهر شكل آخر من هذه المقاومة تبنى النهج السياسي السلمي منذ بداية القرن العشرين مع ظهور عدة مؤثرات إقليمية ودولية ألقت بآثارها على الجزائر، وقد أدى ذلك إلى ظهور الأحزاب السياسية والصحافة العربية في الجزائر التي أخذت على عاتقها مواجهة الانحطاط الثقافي والاجتماعي والأخلاقي في المجتمع.

وكذا محاربة عوائق النهضة داخل المجتمع والتخلص من قيود الاستغلال والاستعباد، إضافة إلى الصراع العنيف مع الإدارة الاستعمارية التي وقفت للحيلولة دون بلوغ أهدافها، فقد عطلت وصادرت وأوقفت الكثير منها بحجج وأسباب واهية أو تافهة.

تعد الحركة الإصلاحية إحدى ردات الفعل على هذه السياسة التعسفية، فقام رجالها بالتصدي لتلك الاعتداءات المتكررة وكشفها للرأي العام داخل الجزائر وخارجها، معتمدين في ذلك على الوسيلة الإعلامية ممثلة في الجمعيات والنوادي والمحاضرات والدروس المسجدية، إضافة إلى الصحافة خاصة، إذ أنها كانت أبرز نشاط سياسي وثقافي في جزائر القرن العشرين، وقد استعملها هؤلاء لإيصال صوتهم وإسماع معاناتهم إلى مختلف الأنحاء. وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 هبّ نخبة الجنوب الجزائري لمساندتها والوقوف معها لأداء رسالتها ونشر التعليم والوعي السياسي في المجتمع الجزائري، وقد كانت صحافتها تتابع كل مستجدات الأوضاع في الجنوب الجزائري وتنقل تفاصيله، وهذا ما نجده في جريدة البصائر (1935-1956) لسان حالها خاصة، مما أدى إلى تعريف الرأي العام بما كان يجري في الجنوب الجزائري، وكسر ذلك الحاجز الذي يراد به عزل تلك المناطق عما يحدث خارجها. والإشكال المطروح هنا: كيف ساهمت جريدة البصائر في كشف النظام العسكري وممارساته التعسفية في الجنوب الجزائري؟

وهناك عدة تساؤلات فرعية تندرج تحت هذا الإشكال: ما هي طبيعة الإدارة الاستعمارية في الجنوب الجزائري؟ وكيف وصل النشاط الإصلاحي إلى هناك؟ وماهي إجراءات الاحتلال ضد سكان الجنوب عامة وضد رجال الحركة الإصلاحية خاصة؟. وسنعمد المنهج التاريخي كأداة للدراسة مع الاستعانة بالوصف والتحليل لمحتوى عينة الدراسة (جريدة البصائر)، وذلك حتى نصل لنتيجة مفادها تحفظ الجريدة من التصريح العلني من النظام العسكري في الجنوب الجزائري، مكتفية بالتنديد وكشف أساليبه وفضحه للرأي العام.

## 1. السياسة الاستعمارية في الجنوب الجزائري:

### 1.1 الإطار الجغرافي للجنوب الجزائري

تنتمي هذه المنطقة إلى الصحراء الإفريقية الكبرى التي تمتد من البحر الأحمر شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن الشمال جبال الأطلس الصحراوي وجنوباً دول الساحل الإفريقي، وهي تحمل معالم بسيطة غير معقدة، وتتميز تضاريسها بأنها تنقسم إلى ثلاثة أصناف:

-الصحراء المنخفضة الشرقية.

-الهضاب الصخرية الشمالية الوسطى والغربية.

-مرتفعات الجنوب الشرقي الجبلية (الهقار والطاسيلي). حيث إن كلاً منها له خصائص معينة، إضافة إلى وجود الكثبان الرملية (العروق) والهضاب وغيرها، أما مناخها فهو المناخ الصحراوي الذي يتميز بالحرارة المرتفعة صيفاً والبرودة الشديدة شتاءً، وبعد الجفاف أبرز سماتها، فالمتوسط السنوي للأمطار بها لا يزيد عن 100 ملم، وأكثره يتبخّر بفعل حرارتها المفرطة، وهذا ما انعكس على غطاءها النباتي الذي يتميز بأنه هزيل وقصير ينمو أكثره عقب الأمطار وبشكل متباعد، وأغلبه تمتد جذوره بعيداً في الأرض أو هي شوكية لتخزين المياه<sup>1</sup>.

## 2.1 التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري

بعد أن استقرت الجيوش الفرنسية في الشمال وجهت أنظارها نحو الجنوب، ذلك لأنه كان يشكل قواعد خلفية للمقاومة وملجأً لرجالها لأخذ قسط من الراحة وإعادة التعبئة، أو قواعد انسحاب من المواجهة العسكرية غير المتكافئة، وهذا الذي حتم على القادة العسكريين الفرنسيين ضرورة إخضاع المنطقة حتى يحققوا جملة من الأهداف هي:

\*كون الجنوب الجزائري امتداداً للمقاومات الشعبية التي كانت تعتبره قواعد خلفية لها، لما يمتلكه من ثروات ومؤهلات طبيعية وبشرية، وأن عملية احتلاله تكون سريعة وقليلة التكاليف نسبياً أدت إلى ضرورة تطبيق الحكم العسكري في تلك المناطق.

\*التوجس الفرنسي من التنافس الأوروبي جعلها تسرع من عملية احتلال المنطقة، وخوفاً من انتقال الصراع إليها خاصة بعد ظهور الأطماع الإسبانية في الصحراء الغربية والأطماع الإيطالية في ليبيا وظهور الاتفاقيات السرية أو ما يسمى اتفاقيات اللصوص.

\*امتناع الكولون الفرنسي عن تمويل الحملات العسكرية نحو الجنوب الجزائري لتكاليفها الباهظة، حيث إنه منذ سنة 1900 عرفت الجزائر الاستقلال المالي عن باريس، وأن هذا التمويل يخص حكومة باريس وحدها، مما أدى إلى تراجع عملية الاحتلال وتعثرها<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد رشدي جرابية، "الصحراء الجزائرية: دراسة في الجغرافيا"، مجلة البحوث والدراسات، المجلد 14، العدد 24، تصدرها جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، جوان 2017، ص 341-350.

<sup>2</sup> محمد برشان، "التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري (1902-1960)"، مجلة الخلدونية، المجلد 9، العدد 1، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ص 178-180.

بدأت عملية التوغل الفرنسي باحتلال الجنوب الشرقي بداية باحتلال مدينة بسكرة 1844، ثم واحة الزعاطشة 1849 التي شهدت مقاومة عنيفة للمحتل أدت لتدمير الواحة واستشهاد زعيم المقاومة الشيخ بوزيان والكثير من الثوار معه، وبعدها احتلت بوسعادة 1850، ثم تقرت وورقلة التي اشتعلت فيها المقاومة بقيادة الشريف محمد بن عبد الله الذي كان هدفه الاستيلاء على تقرت والأغواط، وقد انضم إليه الثائر بن ناصر بن شهرة الذي ساعده في ضمها، لكن الفرنسيين تمكنوا من احتلال مدينة الأغواط في 03 و04 ديسمبر 1852، ثم قامت فرنسا بعقد اتفاقية حماية مع أهل ميزاب في 24 أبريل 1853 التي تنص على دفعهم ضريبة تقدر بـ 4500 فرنكاً مقابل عدم التدخل في شؤونهم الداخلية واستمرارهم في تجارتهم مع تونس والمغرب، وفي ديسمبر 1854 احتلت القوات الفرنسية تقرت بعد انسحاب الشريف منها نحو تونس للعلاج، وعاد بعدها إلى ورقلة وحصنها مما أدى إلى تسيير جيش من المرتزقة إليه بقيادة الباشا حمزة بن بوبكر وانتصر عليه في معركة نقوسة يوم 08 أكتوبر 1861 وسقطت المدينة في يد الاحتلال<sup>1</sup>.

وفي الجنوب الغربي قامت ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 ثم قامت ثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881م التي شملت الجنوب الوهراني واستمرت حتى سنة 1908، فاحتل الجيش الفرنسي الأبيض سيدي الشيخ سنة 1895 وحصن جنان بورزق، كما أسست القوات الفرنسية مركزها العسكري في المنيع التي احتلتها سنة 1891 لتكون مركزاً للسطو على واحات عين صالح وتيديكلت وتوات، فأرسلت العديد من البعثات الاستكشافية إليها التي واجهها السكان وحاربوها، وشيدت العديد من الحصون كحصن ميريبال وحصن ماكماهون، وفي جانفي 1900 احتلت مدينة عين صالح بعد مقاومة أهلها في معركة الدغامشة التي كانت لها مكانة استراتيجية في الصحراء وتبعثها المناطق المجاورة، ثم وقعت منطقة توات في يد الاحتلال بتاريخ فبراير 1901 بعد أن شهدت مقاومة أهل قورارة في الشمال مما أدى بالفرنسيين لطلب المدد من حامية البيض، فأمدوهم بفرقة مكونة من 400 جندي، واستطاعوا في النهاية إخضاع المنطقة، وفي مارس من نفس العام تم احتلال بني عباس، كما دخلت القوات الفرنسية

---

<sup>1</sup> للمزيد: عميراي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844- 1916، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 35- 47.

إلى كولومب بشار في نوفمبر 1903 بعد اجتياز جبل بشار، واحتلت واحة تلبالة ذات الأهمية الاستراتيجية في جوان 1910<sup>1</sup>.

وأما مناطق الهقار والطاسيلي في أقصى الجنوب الجزائري فإن نوايا الاستعمار الفرنسي لإخضاعها قد تجلت في إرسال بعثة استكشافية إلى الهقار سنة 1880 والتي انتهت بمقتل تسعة من أفرادها هناك، وقد انتشرت فيها المقاومة ونشبت عدة معارك منها: معركة تيط في ماي 1902، ومعركة تامراست 1904، ومعركة إيليزي 1908، وبعدها سيطر الطوارق على جانت سنة 1916، وكان من أبرز المقاومين الطوارق الشيخ أمود الذي اتبع في حربه ضد الفرنسيين أسلوب الكر والفر، واستطاع استرجاع جانت من الفرنسيين باستخدام المدفعية، وشرذ حاميتها وأسرقاندها، غير أن الفرنسيين استعانوا بالزعماء الروحيين في ورقلة وعين صالح قصد إخضاع المنطقة، فتم لهم ذلك عبر جهود مضنية، وتوفي الشيخ أمود في منفاه في الغريفة الليبية سنة 1928 بعد رفضه الخضوع للمحتل<sup>2</sup>، كما أن منطقة تندوف قد احتلت سنة 1934م.

### 3.1 الإدارة المحلية الاستعمارية في الجنوب الجزائري (النظام العسكري)

جاء في تقرير وزير الحربية "المارشال سولت" سنة 1845 إلى الملك لويس فيليب قوله: (...يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة بعد التلال، صنفاً ثالثاً من الجهات الإدارية. ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين ولا تطوُّها الجيوش إلا عرضاً لقمع الفوضى أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية وتوسيعها، وهي مناطق تفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة. ومن علامات تغلبنا أن جلالتك تقضي بتعيين قواد من الأهالي في هذه الأراضي...)<sup>3</sup>، حيث دعا إلى إنشاء إدارة في تلك المناطق الصحراوية لا تختلف عن مثيلاتها في الشمال لاعتبارات مالية بحتة، بل دعا إلى إنشاء صنف ثالث من الجهات الإدارية، وجاء في تقرير السيد برتلو أن

<sup>1</sup> للتوسع: إبراهيم مياي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912).

منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996.

<sup>2</sup> احميدة عميراي وآخرون، مرجع سابق، ص 51 - 55.

<sup>3</sup> أندريه برنيان وآخرون، الجزائريين الماضي والحاضر، تراسطمبولي رايح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 385.

هذه الأراضي يجب أن تنتظم في وحدة إدارية لها ميزانيتها التي تغذيها الضرائب المحلية، وهو ما صادق عليه البرلمان الفرنسي يوم 23 ديسمبر 1901 بقراره (...إن المجلس يدعو الحكومة إلى دراسة مشروع تنظيم إداري ومالي للجنوب الجزائري...)<sup>1</sup>، وحدد قانون 14 أوت 1902 الوضع القانوني العسكري لها، وتحدد ميزانيتها بقانون 30 ديسمبر 1903، وبعد هذا قدمت الحكومة الفرنسية مشروعاً لتنظيم أقاليم الجنوب الجزائري وتمت المصادقة عليه في البرلمان الفرنسي بعد مناقشات حادة يوم 24 ديسمبر 1902 مشكلاً ما يعرف بـ النظام العسكري، وقد جاء بعده عدة مراسيم تنظيمية وإدارية، منها مرسوم 04 أوت 1904 الذي وضع الهيكل الإداري لتلك المناطق، ودعمه مرسوم 14 أوت 1905 كذلك، غير أن التجسيد الفعلي لهذا التقسيم الإداري العسكري تأخر حتى 05 أوت 1920 مما أدى إلى معاقبة سكان الجنوب بقانون الأهالي وقانون الحكم العسكري. تم تقسيم الجنوب الجزائري بناءً على ذلك إلى أربعة أقاليم: العين الصفراء ومقره الإداري العين الصفراء، غرداية ومقره الإداري الأغواط، تڤرت ومقره الإداري تڤرت، الواحات ومقره الإداري ورقلة، وعلى رأس كل إقليم قائد برتبة رائد، وقسم كلا منها إلى دوائر Cercles وملحقات Annexes، فضم إقليم العين الصفراء ملحقات: العين الصفراء، المشربة، البيض، بشار والسورة "بني عباس"، وملحقة توات "تيميمون". كما ضم إقليم تڤرت مركز أولاد جلال، وملحقة بسكرة، وتڤرت، وواد سوف، وقسم إقليم الواحات إلى ملحقات الواحات، عين صالح، الهقار.<sup>2</sup> جاء بعد هذا تعديل إداري في عهد الحاكم العام جول كارد الذي قام بنقل السلطات البلدية من الضباط العسكريين إلى الحكام المدنيين في البلديات المختلطة (الجلفة، الأغواط، بسكرة، تڤرت، المشربة والعين الصفراء)<sup>3</sup>، والملاحظ أن هذه البلديات المختلطة قد استمرت في الجنوب حتى الاستقلال بينما ألغيت في الشمال، وتحولت البلديات الفرعية في الشمال إلى دوائر وملحقات عسكرية في الجنوب يديرها قائد عسكري.<sup>4</sup>

---

<sup>1</sup> محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961، ترعلي الخش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص 300.

<sup>2</sup> محمد برشان، "التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري"، مقال سابق، ص 182.

<sup>3</sup> محمد بجاوي: مرجع سابق، ص 304.

<sup>4</sup> كريم ولد النبية، البلدية الاستعمارية في الجزائر من خلال الوثائق الأرشيفية 1863-1947، المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، 2020، ص 25.

جاء في المادة 50 من قانون الجزائر الأساسي قوله (يلغى النظام الخاص بأراضي الجنوب، وتعتبر هذه الأراضي ولايات. تحدد بقانون، بعد استطلاع رأي الجمعية الجزائرية، الشرائط التي بمقتضاها تؤلف هذه الأراضي كلاً أو بعضاً، أو ولايات مدمجة في الولايات الموجودة أو التي ستنشأ. يلغى المرسوم الصادر في 1903/09/30، وتدمج ميزانية أراضي الجنوب في ميزانية الجزائر اعتباراً من أول يناير 1948)<sup>1</sup>، فقد نص على إلغاء النظام العسكري في الجنوب الجزائري غير أن تنفيذه بقي حبراً على ورق، واستمر الحكام العسكريون يمارسون سلطتهم.

## 2. جريدة البصائر (السلسلة الأولى 1935-1939)

### 1.2 تعريفها ومضمونها

تعتبر جريدة البصائر من أهم الصحف الناطقة باللغة العربية في الجزائر وأكثرها انتشاراً وأوفرها تنوعاً وثراءً، وهي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكانت من أطول الصحف العربية عمراً، حيث صدرت سلسلتها الأولى بين (1935-1939)، والثانية بين (1947-1956)، لتصل إلى 361 عدداً، وهي ذات حجم متوسط (28 × 40) تقع في ثماني صفحات تجيء مليئة كلها بالمواضيع المختلفة، حافلة بألوان الفكر، اجتماعاً، ودينياً، وسياسة، وأدباً<sup>2</sup>. صدر العدد الأول منها في يوم الجمعة 1 شوال 1354 هـ / الموافق 27 ديسمبر 1935م، وكان رئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي أول الأمر، وأما صاحب امتيازها فهو الشيخ محمد خير الدين، متخذة شعارها الآية الكريمة قوله تعالى ( قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ).

جاءت البصائر بعد سلسلة من الصحف العربية التابعة لجمعية العلماء التي تعرضت للتعطيل والمصادرة مثل السنة النبوية (1933)، الشريعة النبوية المحمدية (1933)، والصراط السوي (1934)، حيث واجهت جمعية العلماء بعيد تأسيسها الكثير من الاضطهاد والتعسف والمؤامرات قصد

<sup>1</sup> محمد بجاوي: مرجع سابق، ص 306.

<sup>2</sup> محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، دار الغرب الإسلامي، ط 3، بيروت،

2007، ص 281.

إجهاض المشروع الإصلاحي في مهده، وقد سعت أطراف عدة في تأليب الإدارة الاستعمارية عليها بعد الخلافات الفكرية معها، ونقصد هنا "جمعية علماء السنة"، وبذلك صدر قرار بمنع جمعية العلماء من إصدار أي صحيفة أخرى، ودام هذا التحجير مدة سنتين كاملتين<sup>1</sup>، وكان ذلك في عهد مدير الشؤون الأهلية "جان ميرانت" المعروف بزعمته العدائية للإصلاح ورجاله. لقد ساهمت هذه الجريدة في إثراء العديد من القضايا الدينية والسياسية والفكرية، وواجهت رجال الطرق الصوفية والزوايا والموظفين الرسميين، حيث كانت ترد على خصومها وتدافع عن مواقفها وتوجهاتها، إضافة إلى متابعة الأحداث الوطنية ورصدها مثل المؤتمر الإسلامي 1936، وقضية اغتيال المفتي كحول واتهام الشيخ الطيب العقبي بذلك وغيرها، كما كانت تستنكر كل محاولة للنيل من الحركة الإصلاحية وتسعى لكشفها مثل قرار 08 مارس 1938 الذي فرض على رجال التعليم إصدار رخصة رسمية لفتح المدارس والكتاتيب، إذ كان يستهدف جمعية العلماء على وجه التحديد للحد من نشاطهم، وهذا ما جلب على الإدارة الاستعمارية الكثير من الاستنكار والتنديد من مختلف الجهات، وعلاوة على ذلك كانت الجريدة تدرس القضايا الأدبية وتخصص ركناً لها، إضافة إلى اهتمامها بالحركة الإصلاحية المغربية والتونسية، فكتب كثير من رجالها على صفحاتها، كما كانت تتابع أحداث العالم الإسلامي والمشرق العربي، فهي تتفاعل مع الأحداث وتبدي مواقفها وآراءها إزاء الكثير من قضاياها آنذاك<sup>2</sup>، وقد توقفت الصحيفة خلال الحرب العالمية الثانية درءاً لما لا يريده القارئون عليها وهو حمل الجمعية على الظهور بمظهر لا يليق بسمعتها، وفي ذلك يقول إبراهيمي: "...وخار الله للقائمين عليها في ذلك التعطيل كما خار لهم من قبل في تقرير السكوت، ولعمري إن التعطيل لخير من نشر الأباطيل"<sup>3</sup>، وبذلك توقفت الجريدة عن الصدور خلال الحرب

---

<sup>1</sup> نفسه، ص 279.

<sup>2</sup> ينظر: محمد بوسلامة، القضايا الوطنية والعربية من خلال جريدة البصائر (1935-1956)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2017/2018.

<sup>3</sup> محمد البشير إبراهيمي: استهلال، البصائر، العدد الأول، 25 جويلية 1947، ص 01.

العالمية الثانية كما توقف نشاط جمعية العلماء المسلمين أيضاً، لتعود للظهور مجدداً بعد الحرب واستئناف النشاط السياسي في حلة قشبية بدءاً من جويلية 1947م.

## 2.2 اهتمامها بالجنوب الجزائري

شكل نشر الوعي السياسي وإيقاظ الضمائر هدفاً لدى البصائر، جعلها تتابع جميع الأحداث في ربوع القطر الجزائري؛ مؤكدة على وحدة النضال والمصير المشترك للجزائريين، فكان الجنوب والصحراء الجزائريتين ضمن تلك الرؤية الشاملة للوطن والأمة، فقد نص قانون الجمعية الأساسي على تأسيس شعب وفتح نوادي في كامل القطر<sup>1</sup>، وهذا ما جعل البصائر تبحث عن موضع قدم لها في الجنوب بإيجاد مشتركين أو قراء أو متابعين، ولا يفوتنا أن نذكر أن العديد من النخبة الإصلاحية "الجنوبية" قد كانت تنشط ضمن جمعية العلماء المسلمين من مناطق الزيبان ووادي سوف وميزاب والأغواط وغيرها، وكان هؤلاء يقومون بدور المراسلين للجريدة، ويجد المتصفح لأعدادها نماذج لذلك، وبعد تأسيس شعب جمعية العلماء في الجنوب كان كثير من أفرادها يرسلون الجريدة. وأما في الجنوب الغربي فإن البصائر كانت موجودة -رغم قلتها- نظراً للوضع العام للمنطقة، ونذكر هنا أن من أبرز موزعي منشورات جمعية العلماء هناك هو عمارة بوجمعة في العين الصفراء الذي تعرض للاعتقال سنة 1952 من قبل السلطات العسكرية بعد اكتشافها عدداً من الجريدة عند أحد المواطنين الذي اعترف تحت التعذيب بالذي تحصل عليها منه<sup>2</sup>، وفي منطقة البيض تأسست مدرسة حرة لجمعية العلماء بفضل جهود السيد بوعلام باقي (1922- 2017) وشعبة لها برئاسة الحاج عيسى الناصري<sup>3</sup>.

## 3. بداية النشاط الإصلاحي في الجنوب الجزائري

<sup>1</sup> عبد الرحمان شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، ص 19.

<sup>2</sup> محمد برشان، النشاط السياسي وبدايات العمل الثوري بملحقة عين الصفراء (1942- 1956)، دار المحابر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 160.

<sup>3</sup> بوعلام عبد الباقي: تأسيس مدرسة بالبيض، البصائر، العدد 203، 06 أكتوبر 1952، ص 3.

كانت الصلات الثقافية والهجرة بين الجنوب الجزائري وتونس الدافع الأبرز والأقوى لانتشار الأفكار الإصلاحية والنهضة الإسلامية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ذلك أن الكثير من الشخصيات قد تعلمت وتكونت في تونس، إضافة إلى تردد السكان على هذا القطر قصد التجارة أو العلاج أو غيرها، وكذا اهتمام النخبة المثقفة بمتابعة الأخبار والصحف التونسية والمشرقية عامة.

شكلت الهجرة نحو تونس والمشرق العربي العامل الأقوى لتكوين الوعي السياسي لدى الجزائريين، فقد ساهموا في إثراء النشاط السياسي والثقافي هناك، فيذكر محمد خير الدين صورة واضحة عن تلك اليقظة الفكرية لأولئك الجزائريين المقيمين هناك<sup>1</sup>، وبعد رجوع الكثير منهم إلى أوطانهم ساهموا في نشر الوعي والفكر الإصلاحي هناك، ويعد الشيخ الطيب العقبي (1890-1960) النموذج الأمثل لذلك، فقد عاد من الحجاز سنة 1920م واستقر ببلدته سيدي عقبة ينشر أفكاره عبر الجرائد مثل صدى الصحراء 1925م، ومجلة الشهاب 1925م، وجريدته الإصلاح 1927م، غير أن أفكاره لم تلق انتشاراً كبيراً بين السكان؛ نظراً لقوة الطرقية وتسلط الحكم العسكري هناك<sup>2</sup>، فأدى ذلك لهجرته إلى مدينة الجزائر سنة 1931م. وهناك أيضاً الشيخ محمد خير الدين (1902-1993) الذي نال شهادة التطويع من جامع الزيتونة في تونس سنة 1925م بعد سبع سنوات قضائها هناك<sup>3</sup>. وفي منطقة وادي سوف كان العديد من أبنائها طلاباً في الزيتونة وتأثروا بالحياة الثقافية والسياسية هناك، فنذكر على سبيل المثال الشيخ حمزة بوكوشة (1907-1994) الذي أرسله والده للتعلم فيها، وقد مكث بها ست سنوات وتحصل على شهادة التطويع سنة 1930م<sup>4</sup>، وله نشاط في الصحافة التونسية مثل جريدة الوزير. وأما الميزابيون

---

<sup>1</sup> انظر: فقرة ماذا استفدت من تونس غير العلم؟. محمد خير الدين، مذكرات محمد خير الدين ومشاركته في جمعية العلماء المسلمين والثورة الجزائرية، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص 79-80.

<sup>2</sup> عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و1954م، دار طليطلة، الجزائر، 2015، ص 76.

<sup>3</sup> محمد خير الدين، مصدر سابق، ص 76.

<sup>4</sup> محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء الثاني، دار هومة، الجزائر، 2000، ص 62.

فإن لهم تأثيرًا واضحًا بما كان سائدًا في تونس، فهم يشكلون أكبر جالية جزائرية فيها، ولهم بعثات علمية كثيرة لها، ودرس الكثير منهم هناك مثل الشيخ أبو اليقظان والشيخ صالح بن عمر لعل والشيخ إبراهيم بن بكير حفار وغيرهم<sup>1</sup>.

وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 05 ماي 1931م سعت جاهدة لنشر مبادئها الإصلاحية ونشاطها التعليمي في أنحاء البلاد رغم الكثير من العراقيل والقيود من الإدارة الاستعمارية أو لضعف الإمكانيات المادية والإطارات البشرية، وقد تأخر نشاطها في الجنوب الجزائري نظراً لعدة اعتبارات، وأهمها وجود الحكم العسكري في تلك المناطق وإحكام سيطرته عليها بسياسة تسلطية قمعية ترفض أي نشاط سياسي أو ثقافي أو مبادرة عملية كما سنرى، إضافة إلى طبيعة المنطقة المناخية القاسية التي تصعب من التنقل والنشاط والتواصل، وهناك عامل آخر يتمثل في وجود الزوايا والطرق الصوفية التي هي قلاع للثقافة الدينية والتي تمارس السلطة الجماعية على السكان، وتتمتع بالنفوذ الكبير هناك، ومن تلك الطرق نذكر الشيخية والكرزاية والتيجانية والزانية والرحمانية وغيرها، وبدءاً من سنة 1936م سعت جمعية العلماء إلى التمرکز -بحذر- في الجنوب الجزائري لنشر أفكارها الإصلاحية، فعملت على إيجاد مشتركين في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كالبصائر والشهاب، إضافة إلى بحثها عن مؤطرين للعمل الإصلاحي من أهل الجنوب ومؤمنين به تكون مهمتهم نشر أفكار وتوجهات الجمعية، كما حاولت استقطاب شخصيات فاعلة وذات نفوذ علمي واجتماعي في الجنوب الجزائري يتناسب مع مشروع جمعية العلماء؛ قصد التمرکز بقوة فيه والوصول إلى فئات المجتمع المختلفة، كما أنها عملت على فتح فروع وشعب في المناطق المستهدفة المستوفية للشروط. ونشير هنا إلى أنه في الفترة الممتدة بين 1931 و1936 كانت صحف جمعية العلماء تصل إلى تلك المناطق و متداولة بين النخبة المثقفة خاصة في ميزاب وتوقرت<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص 76-83.

<sup>2</sup> بلعزوز العربي، "نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجنوب الجزائري وأحداث وادي سوف (1937-1938)؛ من خلال تقارير عسكرية"، عصور الجديدة، يصدرها مختبر تاريخ الجزائر، كلية

لقد عرفت مناطق الجنوب بعد ذلك نشاطاً لجمعية العلماء وخاصة في بسكرة ووادي سوف وميزاب والأغواط وغيرها، فأنشأت لها فروعاً هناك وانضم العديد من الشخصيات لها، حيث نجد أن منطقة وادي سوف قد عرفت النشاط الإصلاحي مبكراً من خلال نخبتها كالشيخ عمار بن الأزعر والشيخ حمزة بوكوشة، وقد مثلاً المنطقة لحضور الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء مع محمد الأمين العمودي أيضاً<sup>1</sup>، وقد عانى الشيخ بن الأزعر كثيراً في سبيل دعوته، مما اضطره إلى السفر إلى الحجاز وتوفي هناك، ويعد التاجر عبد الكامل أول ممثل للجمعية في الوادي، حيث جمع حوله المؤيدين لها وتمكن من تأسيس شعبة الوادي بعد مرور حمزة بوكوشة من المنطقة، وفي قمار أسس الشيخ عبد القادر الياجوري (1912-1991) شعبة للجمعية هناك سنة 1937<sup>2</sup>، غير أن أهم حدث هو انضمام الشيخ عبد العزيز الهاشي (1898-1965) شيخ الطريقة القادرية بوادي سوف الذي وجه رسالة إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس يقول فيها: "إن سكان المناطق الجنوبية رجالاً ونساءً وأرواح الأسلاف يحيونكم (...). لنثق بالله من أجل أن تصبح سعيدة في زمانك اللامع هذا، لنترك بصماتنا في هذا العصر الجديد من أجل سيادة مبادئ الدين الإسلامي"<sup>3</sup>، وقد رافق وفد جمعية العلماء الذي زار المنطقة في ديسمبر 1937، وكتبت البصائر تفاصيل الزيارة في مقال بعنوان وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف ونواحيها، في الأعداد 93 الصادر 31 ديسمبر 1937، و94 الصادر في 07 جانفي 1938، و95 الصادر 14 جانفي 1938.

---

العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران 1، (الجزائر) المجلد 12، العدد الأول، ماي 2022، ص 378-380.

<sup>1</sup> عاشوري قمعون، العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة (1907-1994)، مطبعة صخري، الوادي، 2012، ص 27.

<sup>2</sup> أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص 47 - 49.

<sup>3</sup> بلعوز العربي: مقال سابق، ص 386. نقلاً عن:

Gardez, Etude sur l'activité des Oulamas dans les Territoires du Sud, février 1938, ANOM  
10H/89.P 18.

وكانت منطقة الزيبان من أهم مراكز الإصلاح في الجنوب الجزائري، حيث كان سكانها ذوو بصمة بارزة فيه، وبعد الشيخ المولود الزريبي الشخصية الإصلاحية الأولى هناك، فبعد أن تلقى تعليمه بالأزهر عاد لبلده وبدأ في نشر أفكاره، لينتقل سنة 1920 إلى مدينة الجزائر بعد أن اصطدم بالطرقية ورجال الزوايا واتهم بالزندقة والإلحاد<sup>1</sup>، وجاء بعده الشيخ الطيب العقبي الذي أعلن الحرب على الطرقية والبدع والخرافات في تلك المنطقة، فسعى للإصلاح العقدي الذي كان يراه الأهم في كل إصلاح، ولذلك سعى جريده "الإصلاح" وجعل شعارها "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وجاء بعده محمد السعيد الزاهري الذي كان على طريقته في الحرب على البدع والخرافات وكشف الطرقية<sup>2</sup>، وكذلك الشيخ محمد خير الدين الذي عاد من تونس سنة 1925 وحضر اجتماع الرواد بقسنطينة سنة 1928، فعمل على تجسيد التزامه بإلقاء الخطب والدروس على الناس في قرية فرفار، من فقه وتفسير وسيرة ووعظ، لينتقل بعدها لمدينة بسكرة مع عائلته، وقد اشترى رفقة الشيخ العقبي مطبعة، وساهم معه في تأسيس جمعية الإخاء سنة 1931 وتولى منصب الكاتب العام فيها<sup>3</sup>، وفي جانفي 1932 تأسست شعبة بسكرة التابعة لجمعية العلماء برئاسة الأمين العمودي وعضوية رجال جمعية الإخاء الذين عملوا بها كمدرسين، كما تأسست شعب أخرى فيما بعد كشعبة برج بن عزوز سنة 1948، وشعبة طولقة سنة 1950، هذا إضافة إلى العديد من الجمعيات والنوادي التي كانت متعاونة مع الجمعية أو تسعى لتحقيق أهدافها، ونجد منها جمعية مدرسة الشبيبة والتعليم ببسكرة، وجمعية إعانة الفقراء، والجمعية الخيرية الإسلامية التي كان يشرف عليها الطيب العقبي وغيرها، وهناك عديد النوادي نذكر منها نادي الهدى 1932 ونادي السعادة 1934 في القنطرة، ونادي التوفيق 1937 في دوار جمورة، ونادي التقدم 1937 في منعة وغيرها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> فاروق قري، الحياة الثقافية في منطقة الزيبان 1849-1962م، أطروحة دكتوراه ل م د تخصص تاريخ معاصر، غير منشورة، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2020/2021، ص 138-143.

<sup>2</sup> عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب، مرجع سابق، ص 131 وما بعدها.

<sup>3</sup> محمد خير الدين، مذكرات، مصدر سابق، ص 86 وما بعدها.

<sup>4</sup> عبد القادر قوبع، المرجع السابق، ص 273-277.

وتعد الأغواط من أهم وأبرز المراكز الإصلاحية في الجنوب الجزائري نظراً لاشتمالها على مؤهلات جغرافية وحضارية، فقد نفي إليها عمر بن قنور (1886-1932) سنة 1915، وسكنها الشيخ محمد العاصمي (1882-1951) خلال الحرب العالمية الأولى واشتغل بالتدريس هناك<sup>1</sup>، كما أن محمد السعيد الزاهري (1899-1956) أقام بها مدرساً في نواة مدرسة الشبيبة لمدة قصيرة<sup>2</sup>، وتعد إقامة الشيخ مبارك بن محمد الميلي (1898-1945) باكورة النشاط الإصلاحي هناك، فقد مكث بها ست سنوات منشغلاً بالتدريس والوعظ والإرشاد وأسس مدرسة الشبيبة وغيرها من النشاطات الثقافية<sup>3</sup>، وبذلك لاقت دعوته نجاحاً هاماً تجلّى في تلاميذه هناك، كما تأسس نادي الأدب سنة 1937 على يد أشخاص لهم توجهات إصلاحية، وكان لهم إسهام في النشاط السياسي والثقافي في المنطقة، وبعد ذلك تأسست مدرسة التربية والتعليم سنة 1948.

كما ظهرت منطقة ميزاب كمركز إصلاحي كونها قامت بعلاقات علمية وبعثات طلابية إلى تونس منذ مطلع القرن العشرين، ويعد الشيخ محمد بن يوسف القطب (1821-1914) بداية النهضة الحديثة في ميزاب لما لإنتاجه العلمي من أثر في المنطقة. وهناك الشيخ إبراهيم اطفيش (1886-1956) الذي نفي إلى مصر وأسس مجلته المنهاج التي أثرت في الحركة الإصلاحية بميزاب، كونها مجلة علمية سياسية اجتماعية نصف شهرية، وقد بدى منهجها الإسلامي واتجاهها الوطني صريحاً، وتكمن أهميتها أنها أوصلت صوت الجزائر المضطهدة إلى الشعوب العربية والإسلامية انطلاقاً من القاهرة<sup>4</sup>، ونجد الشيخ إبراهيم بيوض وهو المتصدر الأول للإصلاح، فقد شغل منصب نائب أمين المال في المجلس الإداري لجمعية العلماء، ليخلفه في منصبه الصحفي أبو اليقظان، وقد ظهر نشاطهم جلياً في المنطقة وخارجها،

---

<sup>1</sup> محمود علالي، الحركة الإصلاحية في الأغواط، وزارة الثقافة والفنون، الجزائر، 2008، ص 97-98.

<sup>2</sup> محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء الأول، دار هومة، الجزائر، 2000، ص 117.

<sup>3</sup> أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 35-38.

<sup>4</sup> محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، المرجع السابق، ص 406.

وأنشأ أبو اليقظان العديد من الصحف مثل وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، الأمة وغيرها<sup>1</sup>، وكانت مساهمة الميزابيين في جمعية العلماء ومؤازرتهم لها مادياً ومعنوياً جلية<sup>2</sup>.

#### 4. كشف الإجراءات القمعية التي يتبعها الحكم العسكري في الجنوب الجزائري ضد السكان

قام الاحتلال الفرنسي بعد احتلال الجنوب الجزائري بسياسة قمعية وتعسفية تجاه السكان معتمداً على الجانب العسكري تارة، والجانب الإداري تارة أخرى، فكان هذان الجانبان المظهر الأكبر لكل ذلك التعسف والظلم الذي مس أولئك السكان، حيث منحت صلاحيات مطلقة للحكام العسكريين في إصدار العقوبات وتنفيذها ولأي سبب كان، ولا يحل للفرد الطعن في الحكم أو التبرير.

وقد ذكر باقي بوعلام أنه عندما عاد من تلمسان إلى بلدته البيض وكان مرتدياً لباساً إفرنجياً وعلى رأسه طربوش أبيض، فمر عليه الحاكم العسكري ولم يؤدّ له السلام العسكري الذي كان واجباً على السكان تأديته، فاستوقفه وسأله عن ذلك، فقال له "أنا مدني ولست عسكرياً كي أسلم"، ثم سأله "هل أنت من أهل البلد؟"، فقال له: نعم وأنا طالب في تلمسان، ثم أمر الشاوش أن يسجنه لمدة يومين عقاباً له على ذلك<sup>3</sup>، وجاء في مقال لجريدة البصائر بعنوان: فاجعة عظمى ببسكرة تحدث عن حادثة 06 فيفري 1938 التي أدت لمقتل شخصين وأربعة جرحى على يد البوليس الفرنسي، وذلك بعد هجومه على مقر نادي الشباب الإسلامي ببسكرة أين كان يعقد أعضاؤه اجتماعهم والناس مجتمعين داخله

<sup>1</sup> محمد الحسن فضلاء، مرجع سابق، ص 89.

<sup>2</sup> الحاج موسى بن عمر، مزاب وقضايا الأمة والوطن، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص 446-456.

<sup>3</sup> شكيب أرسلان باقي، محطات في حياة المجاهد باقي بوعلام (1922-2017)، ضمن كتاب المجاهد باقي بوعلام من معركة التحرير إلى البناء والتشييد - تضحية وعطاء، إشراف السعيد دراجي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017، ص 13-14.

وخارجه، وكان الاقتحام على يد مفتش الشرطة هيتز هنري، وترأس الاجتماع الدكتور سعدان، وهذان القتيلان هما: موساوي عثمان وزامبوط رايح، حيث كان هذا التصرف رداً على تنديد الدكتور سعدان بتزوير الانتخابات العمالية، 1938 وترشحه للنيابة المالية<sup>1</sup>، وقد أغلقت المحلات والدكاكين وحضرت الجموع من كل ناحية، وقد تقدم الشيخ ابن باديس لتأبين الشهيدين بقصيدة عنوانها (قصة شهيدين) جاء فيها:

شهران في الخطب لم يهابا ناداهما الخلد فاستجابا

تلقيا في الحشا رصاصاً مفرغاً للردى مهابا

إن انتخاباً جرى بحيفٍ في دورها أعقب انتخابا

تبت يدا حاكم غشومٍ يجر للأمة التّبابا

بغير جرمٍ من الأهالي عليهم ينزل العقابا<sup>2</sup>

كما حضر نائب شيخ البلدية المدبر لهذه المكيدة كما وصفته الجريدة، الذي أصدر أمراً بمنع رفع القتيلين إلى منزلهما من المستشفى، وبعد أخذ ورد بين نائب حاكم العمالة القادم من باتنة وشيخ المدينة وإصرارهما على المنع، قررت جمعية النواب مخاطبة الوالي العام تليفونياً، وتساهل في ذلك، وتم تشييعهما من مسكنهما إلى المقبرة وحضرت جموع غفيرة قدرت بخمسة عشر ألف<sup>3</sup>، وبذلك فإن سكان الجنوب قد منعوا وبشدة وعنف- من إبداء أي موقف لهم تجاه قضاياهم السياسية أو الاجتماعية مهما

---

<sup>1</sup> وافية نفطي، "دور الدكتور أحمد الشريف سعدان في الحركة الوطنية الجزائرية وإسهاماته في تفعيل النشاط السياسي بـسكرة 1927-1948م"، مجلة الإحياء، المجلد 19، العدد 23، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 1، ديسمبر 2019، ص 681.

<sup>2</sup> محمد خير الدين، مذكرات محمد خير الدين، الجزء الأول، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص 293.

<sup>3</sup> مكاتب: فاجعة عظمى بـسكرة، البصائر، العدد 101، 25 فيفري 1938، ص 02.

كان نوعها، حيث بلغت درجة التسلط منهاها في تلك المرحلة، وقد وجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كلمة إلى الوالي العام أبدت فيها تألمها لإزهاق حياة الأبرياء، واحتجاجا على تسرع رجال الأمن لإزهاق الأرواح، ظاهرة تفزعنا عواقبها، وتضع الثقة في العدالة الفرنسية لكشف أسباب الحادث<sup>1</sup>.

وكان قرار رؤساء الأقاليم الجنوبية بناءً على منشور الحاكم العام بسجن كل منتسب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يقوم بالدعاية لها<sup>2</sup>، من أشنع الإجراءات التي طالت رجال الإصلاح في الجنوب الجزائري، فقد كتب الشيخ ابن باديس مقالاً في افتتاحية البصائر بعنوان: ماذا في الجنوب؟ إنديجينا جديدة! بعد مائة سنة وثمان سنوات أبدى فيه استنكاره وامتناعه من هذا القرار، ومحتجاً لدى الرأي العام الفرنسي عليه ووصفه بالفعل الشنيع<sup>3</sup>، ولذلك تعرض الشيخ عبد العزيز الهاشمي شيخ الزاوية القادرية بواد سوف للاعتقال والسجن بسبب مواقفه الإصلاحية، فقد نال شهادة التطويع من جامع الزيتونة، وقد انخرط في جمعية العلماء بدءاً من أكتوبر 1937م، وأصبح عضواً في مجلسها الإداري، وكرس وقته وأملكه لنشر العلم في زواياه بمساعدة الشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ علي بن سعد، كما واجه الإدارة الاستعمارية بحدة وجراً، حيث قام بتنظيم مظاهرة احتجاجية ضمت حوالي 1200 متظاهر أمام مقر الحاكم العسكري بواد سوف للتعبير عن تدمره لمدير الشؤون الأهلية لويس ميليو من قرار 08 مارس 1938م والأوضاع الاقتصادية المزرية لسكان المنطقة<sup>4</sup>، والذي اضطر لاستقباله والاستماع لمطالبه والموافقة عليها، غير أن الاحتجاج تجدد بعد نبأ مغادرة المدير واندلعت أعمال العنف ضد أعوان الإدارة، وتدخلت قواتها واعتقلت 32 شخصاً وأودعتهم السجن، مما دعا الشيخ عبد العزيز الهاشمي إلى الاحتجاج على مجيء القوات العسكرية من ورقلة وبسكرة، كما أرسل الشيخ برقية إلى

---

<sup>1</sup> جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: كلمة الجمعية في كارثة بسكرة، البصائر، العدد 100، 18 فيفري 1938، ص 6.

<sup>2</sup> جريدة النجاح، العدد 2134، 04 ماي 1938، ص 2.

<sup>3</sup> عبد الحميد بن باديس: ماذا في الجنوب؟ إنديجينا جديدة! بعد مائة سنة وثمان سنوات، البصائر، العدد 113، 13 ماي 1938، ص 1.

<sup>4</sup> أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 54.

حكومة الجزائر وباريس يستنكر فيها الإجراءات التعسفية ضد الدين الإسلامي والمدارس العربية<sup>1</sup>، غير أنه بعد هدوء العاصفة تم اعتقال الشيخ عبد العزيز وزملائه بسبب "سلوكاته المعادية للسيادة الفرنسية"<sup>2</sup>، وسجنوا في قسنطينة، وقد صورت جريدة البصائر حالة الخوف والهلع الذي مس منطقة واد سوف بقولها: (عجّ وادي سوف يوم 18 أفريل بالجنود والعتاد، ورصعت رباه بالمدافع الرشاشة، وأرعدت أجواؤه بأزيز الطائرات، فأوشك أهله ونساؤه وأطفاله وبيوته ونخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء، فذهلت المراضع ووضعت نحو الثلاثين امرأة حملها. أصبح الوادي على حين بغة وقد عطلت أسواقه وسدت طرقاته، ومنع عنه الداخل والخارج، وضرب عليه نطاق شديد محكم من الحصار. ألقى القبض على الشيخ عبد العزيز الهاشمي والشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر الياجوري والسيد عبد الكامل بن الحاج عبد الله، وسيقوا إلى السجن بقسنطينة...) <sup>3</sup>، وفي الحقيقة إن هذه الأحداث كانت تهدف إلى التخلص من رجال الإصلاح؛ كونهم يشكلون خطراً على الإدارة الاستعمارية ومخططاتها في الجنوب الجزائري، فكان ذلك رداً على ذلك النشاط، وقد كشفت مراسلة إلى الولاية العامة من الجنوب عن ذلك بقولها: (إذا كان نشاط ابن جلول لا يشكل في الوقت الحالي خطراً كبيراً فيما يتعلق بالجنوب، فإن نشاط العلماء المصلحين السري يجب أن يلقي كل العناية)، وقد وصل التحريض على المصلحين إلى الادعاء بأنهم يحرضون السكان على العصيان والامتناع عن دفع الضرائب كما تذكر بعض التقارير الرسمية<sup>4</sup>. وفي سياق آخر ذكر مراسل البصائر جملة من الإجراءات التعسفية التي مست ساكنة الأغواط من الحكام العسكريين، فقد كان هؤلاء الحكام يمارسون الظلم والاعتداء على رجال الجمعية لمنعهم من التدريس ويهملون رخص التعليم الديني، بل وصل بهم الأمر إلى

<sup>1</sup> عاشوري قمعون، مشاهير أعلام سوف، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2019، ص 191- 194.

<sup>2</sup> أحمد صاري: مرجع سابق، ص 55. نقلاً عن: Les populations musulmanes du souf...p.56.

<sup>3</sup> عبد الحميد بن باديس: حول كارثة سوف الأليمة ثم... سكوت...، البصائر، العدد 121، 08 جويلية 1938، ص 01.

<sup>4</sup> عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص 341.

منع الناس من عرض شكواهم أمام اللجنة البرلمانية، وقاموا بتفتيش محلات رجال الجمعية<sup>1</sup>، وهذه الإجراءات جاءت تنفيذاً لقرار 08 مارس 1938 الذي جاء للتضييق على جمعية العلماء في تأدية رسالتها التعليمية والتربوية، كما سعوا لقهر الناس ومنعهم من الاحتجاج ضد هذا القرار وغيره ومنع وصول صوته إلى اللجان البرلمانية وحكومة باريس.

وفي بلدة قمار قام قائدها بسجن كل منتسب لجمعية العلماء المسلمين ونفهم، حيث حكم رئيس الملحقة عليهم بالسجن والنفي، وعندما احتج الناس عليه هددهم بالانتقام وطالبهم بجمع 50 ألف فرنك لمحاربة الجمعية حسب زعمه، كما عذب المساجين واتهمهم بكل نقيصة، وقام بغلق المساجد في وجوه رجال الجمعية، مما أثار استياء الجمعية وطلبت من الوالي العام تخلص أهالي سوف من هذا القائد الظالم، حيث كان هذا التصرف هو حملة شرسة قد شنتها الإدارة الاستعمارية في الجنوب الجزائري ضد أتباع ومؤيدي الشيخ عبد العزيز الهاشي حتى بعد اعتقاله وسجنه، فقد جاء في تقرير لرئيس ملحقة الوادي تأكيده على "عقوبات تأديبية قد اتخذت ضد عشرين من مؤيدي الشيخ عبد العزيز"<sup>2</sup>، وذكرت جريدة النجاح خبر الأحكام والعقوبات على رجال الجمعية الذين أُلقي عليهم القبض جراء قيامهم بالدعاية لجمعية العلماء بالوادي والزقم وقمار وقرى أخرى بسوف، ومن بينهم إمام مسجد الزقم معمري عبد الرحمان الذي عوقب بالسجن شهراً ومائة فرنك خطية<sup>3</sup>.

## 5. دور جريدة البصائر في كشف الممارسات القمعية للحكم العسكري أمام الرأي العام

ظهرت الصحافة العربية كوسيلة إعلامية جد هامة في نشر الوعي الثقافي والنشاط السياسي بالنسبة للنخبة الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، وكانت النخبة الإصلاحية تعول عليها كثيراً في نشر

<sup>1</sup> أغواطي: وبالأغواط!، البصائر، العدد 117، 10 جوان 1938، ص ص 3-6.

<sup>2</sup> أحمد صاري، مرجع سابق، ص 56. نقلاً عن: p.57. Les populations musulmanes du souf...

<sup>3</sup> جريدة النجاح، العدد 2135، 06 ماي 1938، ص 03.

أفكارها وتوجهاتها الثقافية وكذا مواقفها السياسية من القضايا والأحداث المختلفة محلياً أو مغارياً أو على المستوى العربي والإسلامي، وبذلك كانت تشكل مظهراً للصراع مع الإدارة الاستعمارية وإجراءاتها التعسفية من ناحية، أو كشف وفضح أذنان الاستعمار ورجالاته الرافضين لأي تغيير أو إصلاحات تخدم المجتمع والبلاد.

لقد سعت جريدة البصائر لكشف تصرفات الحكام العسكريين في الجنوب الجزائري وفضحهم أمام الرأي العام، ففي حادثة بسكرة الأليمة التي أدت لمقتل شخصين أبدت الجريدة استنكارها وسخطها الشديد على ما اقترفه أولئك الحكام، فقد نشرت تأبينية الشيخ عبد الحميد بن باديس جاء فيها: (كل الجزائر حزينة غصبي لمصرع أولئك الشهداء الذين ذهبوا ضحية الحقد والتهور، فظيع جداً استعمال سلاح الأمن في إزهاق نفوس العزل البريئة، تعازينا لأقاربهم ولأهل بسكرة)<sup>1</sup>، نرى أن الجريدة هنا ترسل إشارة إلى الرأي العام أن دافع الحادث هو الحقد والتهور لا غير، وإلا فما هو مبرر استعمال السلاح في وجه الرجال العزل، سوى رفضهم لتزوير الانتخابات العمالية، ورفضهم القاطع لفرض أي مرشح أو نائب يخدم مصلحته الخاصة أو مصلحة الإدارة، ولتبرز هول الفاجعة الأليمة للقراء وصفت أجواء المدينة في يوم الحادثة في صدر مقالها، فقالت: (كان يوم 06 فيفري في بسكرة بمناسبة الانتخابات العمالية- يوماً تشيب له الرؤوس ذا مناظر محزنة مؤسفة، يا له من يوم مثلت فيه أنواع القساوة والشدة والظلم والاستبداد من أعوان الحكومة المحلية وقد اعتدى البوليس على المنتخبين بأنواع الاعتداءات من سب وشتم وضرب وغير ذلك من أنواع الإهانات)<sup>2</sup>، وقد صرحت البصائر أن سبب الحادثة هو الحكم الذي أصدره مجلس الدولة الأعلى ببافيس بمناسبة انتخابات 05 ماي 1935، وذلك الحكم يقضي بشرعية تلك الانتخابات التي رفعت حولها العديد من العرائض بسبب تلك الممارسات القمعية تزويراً لنتائجها، فقد ترشح لها قائمتان إحداهما للدكتور سعدان مرشح الأهالي، والثانية للباشا آغا العرب بن عزيز بن قانة مرشح الإدارة والمدعوم منها، وقد فاز بـ 804 صوتاً من 813،

<sup>1</sup> عبد الحميد بن باديس: الدكتور سعدان- بسكرة، البصائر، العدد 100، 18 فيفري 1938، ص 6.

<sup>2</sup> مكاتب، فاجعة عظمى ببسكرة، البصائر، العدد 101، 25 فيفري 1938، ص 2.

وهناك حادثة أوجبت الاحتقان والغضب لدى السكان والمرشحين، حيث أقدم شيخ العرب بن قانة على البصق في وجه شيخ هرم يحمل قائمة الدكتور سعدان أثناء توجهه للخلوة وأخذها منه، فقام إليه الدكتور شاطوني وضربه على صدره على مرأى ومسمع من رئيس البلدية، ونتيجة لذلك امتنع النخبون عن التصويت مما أدى لتدخل الشرطة الذين أجبروهم على التصويت، ومن رفض منهم اقتيد إلى السجن، كما أن رجال بن قانة كانوا يعترضون النخبين ويأخذون منهم قائمة الدكتور سعدان في الرواق، وفي قاعة الاقتراع كانت الشرطة وأعوان بن قانة يجبرون النخبين على التصويت بورقة مفتوحة خارج الخلوة<sup>1</sup>.

وفي سياق آخر، أبدت الجريدة امتعاضها ورفضها القاطع لتلك التصرفات التي يقوم بها الحكام العسكريون تجاه مطالب الشعب الجزائري والحركة الوطنية، حيث نقلت خبر إحياء ذكرى يوم 7 جوان في بسكرة<sup>2</sup> الذي هو بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي 1936 في مدينة الجزائر، فقد وصف مراسل بسكرة ذلك المهرجان العظيم الذي نظّمته اللجنة المحلية للمؤتمر بناءً على قرارات اللجنة التنفيذية للمؤتمر، ويذكر الشيخ محمد خير الدين الذي كان أحد دعاها أن هذه اللجنة برئاسة الدكتور البشير عبد الوهاب كان عملها أن أرسلت عريضة إلى باريس تشرح الأحوال شرحاً وافياً، وتطالبها باستنجاز وعودها التي قطعها لوفد المؤتمر، كما وجهت نداءً للأمة تدعوها فيه للاتحاد والالتفاف حول مطالب المؤتمر، ومؤازرة رجاله ومساندتهم في سائر الظروف وكافة الوسائل<sup>3</sup>، وقد حضر جمع غفير من الناس ذلك المهرجان للاستماع لأعضاء لجنة المؤتمر المحلية التي تأسست فيه برئاسة الحكيم سعدان وحضور الشيخ محمد خير الدين، وقد تناول الكلمة الحكيم سعدان الذي قام بتعريب مطالب المؤتمر الإسلامي، وفضح النواب المحليين المهتمين بإرضاء الإدارة والمعمرين ومصالحهم الشخصية، حيث بين معاناة

<sup>1</sup> وافية نفطي، "دور الدكتور أحمد الشريف سعدان في الحركة الوطنية الجزائرية وإسهاماته في تفعيل

النشاط السياسي ببسكرة 1927-1948"، مقال سابق، ص 672. نقلاً عن: Jean-Luc Einaudi, Un

Algérien Maurice Laban, Le cherche midi éditeur, Paris, 1999, p.18.

<sup>2</sup> مراسل ببسكرة: إحياء ذكرى يوم 7 جوان في بسكرة، البصائر، العدد 72، 25 جوان 1937، ص 4.

<sup>3</sup> محمد خير الدين، مصدر سابق، ص 338.

الشعب الجزائري الراحل تحت الأحكام الاستثنائية التي كانت ضمن مطالب المؤتمر المرفوعة لحكومة باريس، فقد جاء منها: (إلغاء سائر القوانين الاستثنائية التي لا تنطبق إلا على المسلمين)<sup>1</sup>، ومن خلال الجريدة نجد نبرة فيها التشكيك في عدم وفاء الحكومة بوعودها، خاصة بعد تضعيع وحدة المؤتمر لأسباب داخلية وخارجية، كما ندد الدكتور سعدان بالحكم العسكري الذي يذيق سكان المنطقة صنوف الإرهاق والإعنات، ولا من راحم يرحمهم أو مشفق يشفق عليهم<sup>2</sup>، وهذا كله هو تحضير للمؤتمر الثاني الذي انعقد بين 9 و11 جويلية 1937 بمدينة الجزائر، وكان من نتائجه التأكيد على مطالب المؤتمر الأول، كما دعا النواب المسلمين للاستقالة الجماعية في حالة رفض الحكومة لمشروع فيوليت، وأن على الشعب الجزائري أن يكون يقظاً، وطلب من الشعب الفرنسي اتقاء الانقسام الخطير بين الفرنسيين والجزائريين<sup>3</sup>.

كانت جريدة البصائر تتابع باهتمام بالغ حوادث سوف 1938 وقضية اعتقال الشيخ عبد العزيز الهاشمي شيخ الزاوية القادرية بوادي سوف، فكانت تنشر للرأي العام تفاصيل القضية وكل مستجداتها لكسب التعاطف والتضامن معها، وأبدت سخطها واستنكارها الشديد لتلك التصرفات التعسفية التي مني بها رجال جمعية العلماء المسلمين من الإدارة الاستعمارية، فقد كتب ابن باديس مقالاً افتتاحياً في البصائر عدد 06 ماي 1938 بعنوان: ماذا في سوف؟ بعد الاعتقال الضغط والاضطهاد تحدث فيه عن قضية الاعتقال والمتسببين فيها، وانتقد تصرف مدير الشؤون الأهلية الذي انساق وراء الوشايات التي يحوكمها ضده قوم من المتسلطين باسم الدين وقوم من المتسلطين باسم الدنيا، كما وصفهم، وكان المطلوب منه إبطال تلك الوشايات، وأوضح أنه ينتظر حكم العدالة وبراءة المتهمين مما نسب إليهم، وأنه كان يمكن للعلماء إمطار الوزارات ببرقيات الشكاوى والاحتجاج، غير أنهم فضلوا ترك الأمر للعدالة لتحقق في الأمر، وقد بينت نتائج التحقيق براءة المتهمين ورفع الحصار عن وادي سوف، ولكن ذلك لم

<sup>1</sup> مجلة الشهاب، عدد خاص بالمؤتمر الإسلامي، ملحق الجزء الرابع، المجلد الثاني عشر، جويلية 1936.

<sup>2</sup> مراسل بسكرة، نفسه.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 169.

يرق للباحثين فعدوا لاضطهاد شعب العلماء وإجبارهم على التخلي عن جمعية العلماء بالسجن والأعمال الشاقة<sup>1</sup>. وفي مقال آخر لعبد الحميد بن باديس بعنوان: ماذا في الجنوب؟ إنديجينا جديدة! بعد مائة سنة وثمان سنوات تحدث فيه عن قرار الحاكم العام لرؤساء الأقاليم الجنوبية بسجن كل منتسب للجمعية يقوم بالدعاية لها، فكون كاتب المقال هو مثار للإعجاب في أوساط الناس يجعلهم يتضامنون أو ينضمون إلى جمعية العلماء، فالإعجاب بشخصية ابن باديس هو سبب في ذلك<sup>2</sup>، وبذلك يلفت الأنظار إليه ويدفع القراء للإصغاء لكلامه، حيث يذكر أن الجمعية لا تتعرض للسياسة ولا تنتقد الحكومة، بل (لم ينس رجالها في جميع أو أكثر مواقفهم أن يوصوا بالتزام الهدوء والنظام، والتمسك بالمظاهر الإسلامية الحقيقية الراقية في معاملتهم لساكنهم من جميع الناس. ووقوفهم في دائرة القوانين الموضوعية لحفظ الأمن والنظام في البلاد)، مما يدل على مجانبة الصواب وتشويه الواقع، وإلباس التهم الباطلة حول جمعية العلماء، وعندما نلاحظ العنوان نجد مصطلح "الأنديجينا" الذي يرمز إلى الظلم والتمييز العنصري والقهر النفسي والاجتماعي للفرد الجزائري المسلم، فهو يوحى باستشعار الخطر، ويبعث على الاشمئزاز عند الجزائريين، وبذلك ترسل الجريدة رسالتها إلى الرأي العام موضحة حجم الجرم المرتكب في حق جمعية العلماء المسلمين، وفي آخر المقال يحتج ضد هذا القرار ويستنكره: (فنحن باسم -الحق والعدل والإنسانية- نحتج ضد هذا المنشور مستنكرين لما فيه من شدة قاسية وتفويض خطر). وبعد شهرين تعود البصائر لتحدث عن قضية الشيخ عبد العزيز الهاشي وزملائه وحوادث أبريل 1938 بوادي سوف، مذكرة الرأي العام بتلك الحوادث ومبينة براءتها من تلك التهم، وأن منطقة وادي سوف كانت قبل الإصلاح قد عرفت التنازع والتناحر وانقسام الناس حول الطريقتين القادرية والتيجانية التي وصلت إلى حد تقاسم المسجد بين الطائفتين، حيث تعامل المصلحون مع

---

<sup>1</sup> عبد الحميد بن باديس، ماذا في سوف؟ بعد الاعتقال والاضطهاد، البصائر، العدد 112، 06 ماي 1938، ص 1.

<sup>2</sup> علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، ترمحمد يحياتن، ط3، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 250.

المخالفين باللين والعفو وحاولوا الحد من تلك الخلافات، إلا أن حادثة الاعتقال قد عكرت الأجواء<sup>1</sup>، ثم جاء في العدد الموالي مقال بعنوان "حول كارثة سوف الأليمة الشيخ عبد العزيز الهاشمي والإصلاح" الذي تتبع فيه مسيرة الشيخ الإصلاحية وقبلها، فأثنى على الشيخ الهاشمي الذي أرسل أولاده إلى الزيتونة لنيل شهادة التطوع، وذكر انضمامه لجمعية العلماء وتولييه عضوية مجلسها الإداري، ومساهمته في التعليم ونشر الإصلاح بسوف، حيث حبس أملاكه وكرس وقته لذلك، وختم المقال بموقف الحاكم العسكري الذي طلب من الشيخ رخصة لممارسة التعليم في الزوايا فرد عليه بأن الزوايا تعمل بدون رخصة منذ القدم، وتكررت الدعوة وتكرر الأخذ والرد، مما فهم منه أن الإدارة استثقلت تلك الحركة، لتصل الأمور إلى الحادثة الأليمة<sup>2</sup>، وقد كانت البصائر تسعى من خلال تلك المقالات إلى إبراز بعض الخبايا المتعلقة بهذه الحوادث حتى تقطع الطريق على بعض المغرضين الخصوم لجمعية العلماء، أو على الإدارة الاستعمارية التي كانت تراها خطراً محدقاً بسياساتها ومشاريعها الاستعمارية في الجزائر، بل حققت نجاحاً كبيراً حين وصلت في منطقة الجنوب إلى أهم الواحات بها (وادي سوف وميزاب) بشكل ملفت ينم عن جهد كبير فيه تصميم وأناة<sup>3</sup>. وبعد سكوت لمدة عام عادت البصائر لتتحدث عن قضية المساجين، فكتبت مقالها الافتتاحي بقلم الشيخ ابن باديس "حول مساجين العلماء هل في سجن الكدية ما يذكرنا بالباستيل؟"<sup>4</sup> أين شبه سجن الكدية في قسنطينة بسجن الباستيل في فرنسا الذي كان رمزاً لاستبداد الملوك وخنق الحرية، وأن الشعب الفرنسي هاجمه في ثورة 1789 وأسقطه وحرر السجناء منه، أما سجن الكدية الذي شبه به؛ فإن ميزته إلقاء الأحرار فيه دون محاكمة أو جرم معلوم،

---

<sup>1</sup> عبد الحميد بن باديس: حول كارثة سوف الأليمة سوف قبل الإصلاح وبعده، البصائر، العدد 122، 15 جويلية 1938، ص 1.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن باديس: حول كارثة سوف الأليمة الشيخ عبد العزيز الهاشمي والإصلاح، البصائر، العدد 123، 22 جويلية 1938، ص 1.

<sup>3</sup> نور الدين ثنيو، الحركة الإصلاحية الجزائرية بحوث ووثائق، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2018، ص 194.

<sup>4</sup> عبد الحميد بن باديس: حول مساجين العلماء هل في سجن الكدية ما يذكرنا بالباستيل؟، البصائر، العدد 178، 11 أوت 1939، ص 01.

ففيه أربعة من العلماء مسجونون هم الشيخ عبد العزيز الهاشمي والشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ علي بن سعد والسيد محمد الكامل، حيث مكثوا مدة عام وأربعة أشهر دون محاكمة، وفي ذلك محاولة لإثارة الرأي العام الفرنسي خاصة في عيد الحرية وتذكيره بثورته ومبادئها التي جاءت لتحقيقها، طالباً منهم تقديم هؤلاء الشيوخ إلى المحاكمة، لأن (فيه محواً ما لكلفة شوهت وجه عيد الحرية)، وفي ذلك (نصرة العدل وجمال الحرية)، وبذلك حاول ابن باديس استفزاز السلطة من خلال الإشادة بعيد الحرية وتبرئة هؤلاء الشيوخ بذكر ما قدموه خدمة لوطنهم كواجب في حقهم، وأن هؤلاء العلماء مظلومون لحجزهم وعدم تقديمهم للمحاكمة<sup>1</sup>، وفي مقال افتتاحي آخر بعنوان "مساجيننا العلماء الأحرار المفكرون يسجون مع المجرمين!"<sup>2</sup> وصف الشيخ ابن باديس وضعهم المزري في السجن ومعاناتهم خاصة الشيخ عبد العزيز الهاشمي الذي أنهكه المرض والسجن معاً منتقلاً بين السجن والمستشفى، وما قامت به جمعية العلماء لمساعدتهم بإطعامهم وأهلهم بالقدر الطفيف، كما أشار إلى عمل الآباء البيض ببلدة ورقلة وما قاموا به في حق أبناء المسلمين وبناتهم دون أن يمسوا بأي سوء، وأن هؤلاء الشيوخ نشروا العلم وهدى الإسلام بين أهلهم وأقاربهم، فإذا كان ذلك جريمة وجناية في نظر الاستعمار فهي- كما قال- من جرائم العقول والأفكار بلا جدال، وهنا يشير إلى سكوت الإدارة الاستعمارية على أعمال التنصير المنتشرة بين المسلمين الجزائريين وغض الطرف عنها، بينما هناك اضطهاد لرجال الإصلاح ليس لشيء سوى لأنهم من رجال جمعية العلماء، ويحاول فضح سياسة الكيل بمكيالين التي تنتهجها الإدارة في حق المسلمين الجزائريين فقط.

## 6. موقف جريدة البصائر من النظام العسكري في الجنوب الجزائري

<sup>1</sup> موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900-1939)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2005/2006، ص 194.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن باديس: مساجيننا العلماء الأحرار المفكرون يسجون مع المجرمين!، البصائر، العدد 179، 18 أوت 1939، ص 01.

ظلت البصائر طيلة فترة وجودها متابعة لما يجري في الساحة الوطنية عامة وفي الجنوب بشكل خاص، فكانت صوتاً إعلامياً بارزاً يجلي صورة ما يجري هناك، بيد أن المتتبع لصفحاتها يجد إشارات وعبارات موجزة تنبئ عن موقفها من الحكم العسكري في الجنوب، وذلك يرجع لعدة أسباب نجملها في الآتي:

أ-التزام جريدة البصائر بسياسة الحذر والحيطة من الإدارة الاستعمارية خوفاً على المشروع النهضوي لجمعية العلماء من الإجهاض والتعطيم؛ لأن هذا المشروع النهضوي جعل الحركة الإصلاحية تسعى لتجسيده في الواقع، ويتمثل في ترسيخ الدين الإسلامي الصحيح ومحاربة البدع والخرافات والجهل، وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل<sup>1</sup>، والحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري اللغة العربية والتاريخ العربي والإسلامي، عن طريق نشر التعليم العربي في المدارس والمساجد والصحافة خاصة، دون أن ننسى الوسائل الأخرى كتوعية الشعب من خلال الندوات والمؤتمرات أو عن طريق الجمعيات والنوادي.

ب-طبيعة النظام العسكري المطبق على الجنوب الجزائري والصحراء القائم على كبت الحريات وممارسة سياسة التسلط بكل أشكالها، قد جعل تلك المنطقة بيئة صعبة للغاية لممارسة أي نشاط سياسي أو ثقافي، فقد سعى لعزل تلك المناطق عن كل ما يحيط بها وقطع تواصلها مع الشمال خاصة.

ج-تميز عقد الثلاثينيات من القرن العشرين بتبلور الحركة الإصلاحية في كيان إداري ومشروع نهضوي متكامل المعالم والأهداف، متجسدة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لقيت مواجهات عنيفة من قبل خصومها الطرقيين، ومن الإدارة الاستعمارية في عهد الحاكم العام جول هنري كارد (jules Henri

---

<sup>1</sup> عبد الرحمن شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص 18.

Card) الذي اتسمت سياسته بالعداء نحو جمعية العلماء، فأصدر العديد من القرارات لصمد نشاطها التعليمي والإصلاحي<sup>1</sup>.

د-اهتمت البصائر في خطها الإعلامي بنشر الوعي السياسي تجاه النخبة الجزائرية والمجتمع من خلال خوضها في معالجة القضية الجزائرية والدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية، وكشف مخططات الاستعمار، فهي منبر ينشر الوعي ويبصر النخبة بمصيرها تجاه وطنها<sup>2</sup>.

فقد جاء في العدد الصادر في 25 جوان 1937 بمناسبة ذكرى المؤتمر الإسلامي في 07 جوان 1936 أن اللجنة المحلية للمؤتمر ببسكرة أقامت احتفالاً عظيماً بالمناسبة، وقد تناول الكلمة الدكتور الحكيم سعدان الذي بين معاناة الجزائري الراح تحت الأحكام الاستثنائية والحكم العسكري الذي يعاني منه سكان المنطقة بلا رحمة ولا شفقة<sup>3</sup>، وطالب بإلغائه نهائياً، وكان هذا التأزر بين جمعية العلماء ممثلة في الشيخ محمد خير الدين والدكتور سعدان ممثل جماعة النواب جعلهما يتبنون نفس المطالب، فموقفه هذا كان في إطار "ميثاق مطالب المؤتمر الإسلامي" لحكومة الجبهة الشعبية في باريس وأحد مطالبه، وسبب هذا التقارب هو مساندة الشيخ محمد خير الدين له في انتخابات عام 1934<sup>4</sup> ونشاطه في المؤتمر الإسلامي 1936، وتبرئته لجمعية العلماء والشيخ الطيب العقبي من تهمة اغتيال

---

<sup>1</sup> للمزيد ينظر: أمينة مسعودي، جيلالي تكران، "سياسة الحاكم العام جول هنري كارد (Jules Henri Card) تجاه جمعية العلماء وجماعة النخبة في الجزائر بين 1930-1935"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 10، العدد الثاني، جوان 2018، تصدرها جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر)، ص ص 186-195.

<sup>2</sup> محمد الأمين حلوفة، "الخطاب التوعوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من 1935 إلى 1954 قراءة من خلال جريدة البصائر"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد التاسع، العدد الثاني، جويلية 2017، تصدرها جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر)، ص 97.

<sup>3</sup> مراسل بسكرة: إحياء ذكرى يوم 7 جوان ببسكرة، مقال سابق، ص 04.

<sup>4</sup> محمد خير الدين، المذكرات، المصدر السابق، ص 285.

المفتي كحول في أوت 1936<sup>1</sup>، وحين ثبتت براءة الشيخ العقبي من التهمة سعت جمعية الشباب العقبي إلى إقامة حفل بالمناسبة، فقام الحاكمون بأمرهم "الدكتاتوريون" بمنعها، الذين كانوا تحت حماية المتصرف (المستراطور) التابع للحكم العسكري، الذي وصفته بـ "...الحكم العسكري المشؤوم ذلك الحكم الذي لا معقب لأمره..."<sup>2</sup>، فقد كان وصفه بالمشؤوم مؤشراً على رفضه وبيان لصفته الشنيعة، وأن أحكامه لا تقبل المناقشة أو الطعن، لوجود الغطرسة والاستبداد، كما وصم أتباع الإدارة المحلية الذين هم موالون لها بالدكتاتوريين لشناعة ما اقترفته أيديهم في حق أبناء جلدتهم إرضاء للمعمرين والإدارة، فقد قام نائب شيخ البلدة بإثارة حاكم الملحق على جمعية الشباب العقبي، وأشيأ عنده ضدهم بأنهم أقاموا الحفل، مما جعل الحاكم يستجوب رئيس الجمعية الذي تبرأ مما نسب إليه، ولم ينساق الحاكم حول الوشاية، واستنكرت البصائر فعل النائب الذي يكشف عن حقد وضغينة على الشيخ العقبي، مطالبة إياه بالتكفير عن خطئه بإقامة حفل آخر. ونجد أن صاحب المقال وضع اسماً مستعاراً هو (سهيل الثاني) حتى يسلم من الملاحقات القضائية والأمنية، أو أن يتعرض للمضايقات في بلده وبين أهله من هؤلاء الحكام وأعوانهم؛ فهو يشير صراحة إلى صاحب هذا العمل القبيح بذكر منصبه وهو بوعزيز بن قانة كما ذكر الباحث لخميسي فريح<sup>3</sup>، كما أن هذا يبعد شبح المصادرة أو التوقيف في حق الجريدة، أو حتى طلب الاعتذار عن الإساءة في حق ذلك الشخص. وجاء في مقال آخر لهذا المراسل بعدما يزيد عن الشهر والنصف بعنوان "دكتاتور بلدة سيدي عقبة يحيل خصومه على محكمة التفتيش ببسكرة!"، واصفاً إياه بذلك الوصف السابق ليؤكد تماديه في التنكيل بخصومه من أبناء جلدته، وليظهر حجم معاناة السكان من أفعالهم الدنيئة، كشف ما قام به ذلك النائب من استدعائه لأعضاء جمعية الشباب العقبي إلى التفتيش متذرعاً بحادثة اعتداء شخص -منفذ لأوامر القوم حسب

<sup>1</sup> محمد خير الدين: مات الحكيم سعدان، البصائر، العدد 55، 08 نوفمبر 1948، ص ص 1-3.

<sup>2</sup> سهيل الثاني: إليك يا دكتاتور بلدة سيدي عقبة، البصائر، العدد 34، 11 سبتمبر 1936، ص 06.

<sup>3</sup> لخميسي فريح، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان (إرهاصات ومساوها) 1914 - 1956، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2016/2017، ص 154.

المراسل- على بعض أفراد هذه الجمعية، فاتهمهم بالتشويش وأنهم مرتبطون بالدكتور سعدان الذي يطالب بإلغاء الحكم العسكري، وقد اقتيد صاحب المقهى الذي وقع فيه الحادث واتهم بالهتاف بحياة الدكتور سعدان، حيث نفى أي علاقة له به، وأنه لم يكن موجوداً وقتها في المقهى، لكن رغم ذلك أغلق مقهاه ونفي إلى أولاد جلال مصفداً بالحديد يمشي على رجله وراء حصان الدائرة، كما أودع المعتدي السجن مع ثلاثة آخرين<sup>1</sup>. أما بلدة الأغواط فإن مراسلها قد أخفى هويته كسابقه للاعتبارات السابقة، وجاءت مراسلته بعنوان "وبالأغواط!" دون عبارة تامة حتى يلفت إليه القارئ ويثيره، أو لعجزه عن إيجاد وصف جامع لأخبار ما حدث فيها، فعندما ذكر ما تعرض له رجال جمعية العلماء هناك -على يد الحكام العسكريين- من الظلم والاعتداء وإهمال رخص التعليم الديني، وحملتهم لتفتيش بعض محلات رجال الإصلاح ومنع الناس من المثول أمام اللجنة البرلمانية، قال واصفاً تلك الأحكام بـ "...الاستثنائية المرنة للإضرار بأهلها والكيد لهم..."<sup>2</sup>؛ ليبين طبيعتها المرنة التي تطبق على عديد من الأشخاص لعدة اعتبارات دون أن يكون مس بتلك القرارات طالما أن هدفها هو إلحاق الضرر بأولئك السكان وتغيص حياتهم بالكيد لهم وكبت صوتهم ما أمكن ذلك.

كما جاء في مقال "وفد الورتلاني في سوف" الصادر في عدد 04 مارس 1938 أنه رأى في طريقه من بسكرة نحو قمار بين الكتبان الرملية منظر قافلة للبدو تبدو عليهم بساطة العيش والبعد عن ضوضاء المدينة والمدنية، فقال إنهم: (...يحكمون بنظام عسكري قاسي شدد عليهم الخناق ولا ذنب لهم سوى السكّنى في وسط الرمال فما أظلمهم وما أظلم الطبيعة لهؤلاء...) <sup>3</sup>، فهو يبدي حزنه وأساه على السكان بسبب الطبيعة القاسية عليهم الظالمية لهم، وبسبب النظام العسكري القاسي -أيضاً- الذي شدد الخناق بتلك الإجراءات التعسفية والمراقبة الصارمة لأولئك السكان، فقد كانت السلطة هناك تفرض على السكان وضع إبلهم في خدمة الفرق العسكرية -دون مقابل- لتحمل السلاح والمؤن لفرقها

<sup>1</sup> سهيل الثاني: دكتاتور بلدة سيدي عقبة يحيل خصومه على محكمة التفتيش ببسكرة!، البصائر، العدد 41، 30 أكتوبر 1936، ص 04.

<sup>2</sup> أغواطى: وبالأغواط!، البصائر، العدد 117، 10 جوان 1938، ص 03-06.

<sup>3</sup> عبد الحفيظ الجنان: وفد الورتلاني في واد سوف، البصائر، العدد 102، 04 مارس 1938، ص 04.

المتوغلة في الصحراء، أو لإمداد العمال المشيدين للأبراج أو الذين يحفرون الآبار في البراري، وقد تم تنظيم طوابير عسكرية وقوافل المؤن لذلك الغرض، وسميت هذه العملية "لحلاس"<sup>1</sup>، وكلامه هذا يريد من خلاله إدانة هذه الإدارة الاستعمارية (الحكم العسكري) أمام القارئ، ليكون على بينة مما يجري في بلاده، وليوضح بشاعة جرمه.

## خاتمة

لقد شهد الجنوب الجزائري انتعاش وازدهار الحركة الإصلاحية التي استطاعت تعبئة الكثير من سكانه تحت لوائها وتكوينهم ثقافياً وسياسياً، ويتضح للمتتبع دورها في تعزيز الوحدة الوطنية في كامل القطر الجزائري شمالاً وجنوباً، وكانت الصحافة أهم أداة للتعبير عن تلك المبادئ ووسيلة لبثها في شرائح المجتمع. وتعد جريدة البصائر أبزر الصحف الإصلاحية وأهمها وأكثرها شعبية وأفضلها ثراءً معرفياً وفكرياً وسياسياً، حيث كانت منبراً لجميع فئات المجتمع قصد التعبير عن آرائهم وانشغالهم الفكرية والسياسية وغيرها، ولعل المطلع على أعدادها يرى مصداق ما نقول، غير أن اهتمامها بالقضية الوطنية جعلها تبرز مختلف الأفعال الاستعمارية ونتائجها على الفرد والمجتمع، وتدخل في صراع حاد مع الإدارة الاستعمارية وموظفيها، وقد كانت مسألة رزوح الجنوب الجزائري تحت النظام العسكري إحدى المسائل المثارة على صفحاتها خاصة السلسلة الأولى (1935-1939) منها، فقد سعت لأن تدلي برأيها وموقفها مما كان يعيشه سكان الجنوب من جراء هذا النظام. لذلك فإن نتائج البحث المتوصل إليها كالآتي:

\*تبدو الجريدة متحفظة نوعاً ما من النظام العسكري في الجنوب الجزائري رغم استنكارها الشديد لأعمال الحكام العسكريين هناك، وهذا خوفاً على المشروع النهضوي لجمعية العلماء من الإحباط، وتفويت الفرصة على الإدارة حتى لا تجد ذريعة لإيقاف الجريدة أو منعها من الصدور.

---

<sup>1</sup> علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882-1954م، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2009/200، ص 101-102.

\*تغلغل الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري بحذر وتريث؛ نظراً لطبيعة الإدارة الاستعمارية فيه التي سعت لقطع الروابط بين الشمال والجنوب، وطبيعة المنطقة والسكان ضمن مبدئها الوحدة الوطنية، فكانت أهم التيارات الوطنية فيه.

\*وقوف سكان الجنوب (الشيخ عبد العزيز الهاشمي) في وجه هذا النظام ومطالبة نخبتهم بإلغائه في الصحف أو التجمعات السياسية الكبرى (المؤتمر الإسلامي 1936).

\*كانت ردة فعل السلطات العسكرية على النشاط الإصلاحي في الجنوب قمعية وقاسية، استطاعت تثبيطه بواسطة أتباعها أو بواسطة تلك القرارات التعسفية، لكنها لم تستطع الحد منه عموماً.

\*يعد الجزء الشرقي الجنوبي أكثر تفاعلاً ونشاطاً مع التيارات الوطنية والإصلاحية خاصة؛ لكونه قريباً نوعاً ما من معقل الإصلاح في الجزائر (مدينة قسنطينة) ووجود تواصل حثيث بينهما، كما أن هجرة سكانه نحو القطر التونسي (جامع الزيتونة) قد عمل على توعية الطلبة وتكونهم ثقافياً وسياسياً، فكانوا هم الفئة الأكثر انضماماً لجمعية العلماء المسلمين ورجالها هناك.

وبذلك ظل الإنسان الجزائري يناضل من أجل قضيته وعقيدته وانتمائه الحضاري في وجه المنظومة القانونية والإدارية والعسكرية الاستعمارية، ويحافظ على وجوده رغم تسلطها وعنفها بما توفر له من ظروف وإمكانيات، ومتكيفاً مع ظروف محيطه الإقليمي والدولي، وبذلك فوّت على المحتل سياسته الرامية لعزله عن بقية مناطق بلده أو عما جاوره من بلدان عربية إسلامية وإفريقية.